المشكاة
مجلّة علميّة محكّمة
العدد السابع- 2009

ابن أبي دينــار القيرواني وكتابـه : تأهّب الرّاوي الفصيح لفتح الجامع الصّحيح

د. الهـــادي روشـــو
مركز الدّراسات الإسلاميّة بالقيروان
جامعة الزّيتونـــة (تونس)

مقدّمـــــة :

ليس المقصود بهذا البحث المؤرّخ أبو عبد الله محمّد ابن أبي دينار الرعيني القيرواني، مؤلّف كتاب **المؤنس في أخبار إفريقيّة وتونس**، بل والده أبو القاسم الذي لم يشتهر شهرة ابنه، مع أنّ شخصيّته مثله - متعدّدة الفضائل،كانت ذات تأثير في المجتمع القيروانيّ - ما كان ينبغي أن يُهملها التّاريخ، ولا أن يتجاهلها المشتغلون بالحديث على وجه الخصوص.

ولقد رأيت أن أساهم في إزالَةِ شيء من الغبار عن الجانب الحديثيّ من مخزون بلادنا الثّقافي والعلميّ، وأن أعرّف بهذا المحدّث القيروانيّ الّذي لا تكاد تجد له ترجمة ضافية في مظانّها من الكتب. فمن هو ابن أبي دينار القيروانيّ ؟ وماذا عن كتابه تأهّب الرّاوي ؟ وما هي الإضافات الّتي يمكن أن يقدّمها هذا البحث ؟

لمحـــة عن ابن أبي دينـــار القيرواني :

1 - اسمه وعائلته :

هو أبو القاسم بن أبي القاسم بن أبي دينار الرّعينيّ القيروانيّ. وهو والد محمّد بن أبي القاسم المؤرّخ صاحب كتاب المؤنس في أخبار إفريقيّة وتونس.

ويبدو من خلال قصّة التّحوّل في حياة المؤلّف، الّتي سنذكرها بعد حين، أنّه كان متزوّجا بقيروانيّة، هي أمّ محمّد.

2 - مولده ووفاته :

لا تسعفنا المصادر والمراجع الّتي بين أيدينا بمعلومة تحدّد تاريخ ولادته أو تاريخ وفاته. إلاّ أنّ نسخ كتاب "تأهّب الرّاوي" كان بتاريخ 29 ذي الحجّة من سنة 1055 هـــ. وقد صرّح ناسخ الكتاب بأنّه نقله من خطّ مؤلّفه، ويُفهم من كلامه أنّ صاحبه ما يزال على قيد الحياة عند نسخ الكتاب.

وحتّى تاريخ وفاة ابنه محمّد لم تتّفق عليها المصادر. فمِن جازم بأنّها سنة 1098 هـــ إلى قائل بأنّها سنة بعد سنة 1110 هـــ، إلى مدّع بأنّه كان حيّا في هذه السّنة.

فالمؤلّف من رجال القرن الحادي عشر للهجرة الموافق للقرن السّابع عشر للميلاد. ولعلّه ليس من المجازفة القول بأنّ الجزء الأكبر من حياته كان في القرن الحادي عشر.

3 - شيوخـــه :

لا يتوفّر لدينا مرجع ضاف شاف عن شيوخ ابن أبي دينار. لكنّ الحياة العلميّة في القيروان - كما كانت عند مفكّري الإسلام - تفرض على طالب العلم أن يبدأ بحفظ كلام الله تعالى وشيء من المتون في الفقه والنّحو والبيان والعروض والحديث...الخ.

وقد دوّن المؤلّف اسمين من أسماء شيوخه اللذين أخذ عنهما أسانيده، وهما :

1 – أبو عبد الله محمّد بن عثمان، المعروف **بابن عطيّة**. أسند ابن أبي دينار بواسطته قصّة امتحان علماء بغداد لحفظ البخاريّ، فقال : " وأمّا سعة حفظه، فمن ذلك ما أخبرنا به شيخنا الرّاوية الثّبت الحاجّ النّاسك القدوة العلم العلاّمة أبو عبد الله محمّد بن عثمان بن عطيّة المغربيّ الأصل المصريّ المنشأ قال : أخبرنا خاتمة المحدّثين أبو النّجاة السّنهوريّ وإمام جامع الأزهر وخطيبه أبو محمّد الشّنشوريّ قالا : أخبرنا نجم الدّين الغيطيّ عن شيخ الإسلام أبي يحيى زكريّا الأنصاريّ عن الحافظ ابن حجر قال : أخبرنا أبو العبّاس البغداديّ عن الحافظ أبي الحجّاج المزّيّ أنّ أبا الفتح الشّيبانيّ أخبره، أخبرنا اليمان الكندي أخبرنا منصور القزّاز أخبرنا الحافظ أبو بكر محمّد الخطيب بن ثابت حدّثني محمّد بن أبي الحسن السّاحليّ حدّثنا أحمد بن الحسين الرّازي سمعت أبا محمّد بن عديّ الحافظ يقول سمعت عدّة مشايخ ببغداد يقولون : إنّ محمّد بن إسماعيل قدم بغداد فسمع به أصحاب الحديث فاجتمعوا وأرادوا امتحان حفظه..." [1].

2 – أبو الحسن عليّ بن عبد الواحد بن محمّد **السّجلماسيّ** الجزائريّ، من سلالة سعد بن عبادة الخزرجيّ الأنصاريّ (ت 1057 هـ/1647 م). عالم، أديب، ناظم، مفسّر فقيه محدّث أصوليّ طبيب فرضيّ، عالم بالمعاني والبيان والتّاريخ والمنطق وغيرها.. ولد بتافلات، ونشأ بسجلماسة، وارتحل إلى فاس، وتوفي بالجزائر. من تصانيفه : "تفسير القرآن"، و"التّقييد الجليل على مختصر خليل"، ومنظومـة "الدّرّة المنيفة في السّيرة الشّريفة"، ومنظومة "مسالك الوصول إلى مدارك الأصول"، ومنظومة في "التّشريح"...[2]

---

1) ابن أبي دينار (أبو القاسم)، تأهّب الرّاوي، 92.

2) انظر في ترجمة السّجلماسيّ : محمّد أمين المحبي : خلاصة الأثر في تراجم أهل القرن الحادي عشر، 3 : 173، محمّد الحفناوي : تعريف الخلف برجال السّلف، 1 : 69 – 72، البغدادي : هدية العارفين، 1 : 756، 757، البغدادي : إيضاح المكنون، 1 : 305، 461، 2 : 106، 449، 473، 575، 732، 690، الكتّانيّ : الرّسالة المستطرفة 137، ابن العماد : شذرات الذّهب، 8 : 379 الزّركليّ : الأعلام : 309/4 كحّالة، معجم المؤلفين، 143/7.

ذكره المؤلّف عند نقله كلاما لابن حجر عن شيخه البلقينيّ في آداب المحدّث والّتي منها ضرورة ذكر سلسلة الإسناد إلى الكتاب أو إلى الحديث نفسه. قال ابن أبي دينار :

" والبلقيني هذا من أشياخ الحافظ، وبه يتّصل سندنا أيضا من غير طريق شيخنا العلاّمة أبي عبد الله محمّد بن عثمان المتّصل سنده بسند الحافظ، بل أخبرنا به شيخنا العلَم المطلق الفرد، نخبة الدّهر وخاتمة العصر، ذو التّآليف العجيبة، أبو الحسن بن عبد الواحد الأنصاريّ عن الحافظ شهاب الدّين أبي العبّاس المقّريّ عن عمّه العالم الكبير أبي فرج سعيد بن أحمد المقّري التّلمسانيّ القرشيّ عن ابن جلال عن الشّيخ الكفيف عن الحافظ البحرانيّ عبد الله محمّد بن مرزوق الحفيد والد الكفيف عن أبي حفص عمر البلقينيّ بسنده المتّصل.."[1]

4- حياته المهنيّة والعلميّة ومكانته عند أهل القيروان :

من خلال ما كتبه ابنه المؤرّخ محمّد بن أبي دينار، ومن خلال ما دوّنه المؤلّف في تأهّب الرّاوي، يمكن القول أنّ أبا القاسم بن أبي دينار كان ذا منزلة مرموقة في مدينة القيروان. ويرجع ذلك إلى أمور أربعة :

* أنّه كان قاضيا فقيها. ولا يخفى أنّ وظيفة القاضي لا تسند إلاّ إلى من توفّرت فيه عدّة شروط علميّة وعقليّة واجتماعيّة.
* أنّه كان أستاذا يدرّس العَروض وعلوم اللّغة العربيّة، فأقرأ الخزرجيّة وأقرأ حواشي السّعد والرّامزة في العروض. ثمّ تخصّص بعد ذلك بتدريس الحديث : رواية ودراية حيث كان يدرّس شرح صحيح البخاريّ وشرح ألفيّة العراقي في مصطلح الحديث. وهذا يفرضه عضوا في "الأسرة العلميّة" القيروانيّة.
* أنّه كان شاعرا موهوبا. وهذا يعطيه وجها ثقافيّا متميّزا عند فئة غير قليلة من المجتمع القيروانيّ.

1) ابن أبي دينار (أبو القاسم)، المصدر نفسه، 102.

* أنّه كان إماما بأحد جوامع القيروان. ويبدو أنّه جامع "الحفاصة" كما ورد في كتاب تأهّب الرّاوي. ولعلّه جامع جديد أنشأه الحفصيّون، إثر تسلّمهم مقاليد الحكم ونقلهم مقرّ السّلطة من القيروان إلى تونس.

لهذه العوامل الأربعة، كان لابن أبي دينار منزلة متميّزة عند أهل القيروان، فكانت مجالسه تغصّ بالطّلبة، سواء منهم من جاء لأجل الحديث ومن جاء لأجل الشّعر وعلوم العربيّة.

بل عُرف أمر ابن أبي دينار عند أعيان مدينة القيروان، فكانوا يتصيّدون فرصة ختمه لرواية صحيح البخاري ليسجّلوا حضورهم في مجلس العلم بالجامع المذكور [1].

5 – قصّة تحوّل الكاتب من الشِّعر إلى الحديث النّبوي :

ارتبط تأليف كتاب **تأهّب الرّاوي** بتحوّلٍ في الحياة الفكريّة والعلميّة لصاحبه. فقد كان ابن أبي دينار يقرئ طلبته الخزرجيّة وما تضمّنته الأبحاث المعانيّة والبيانيّة والبديعيّة، مع ما حوته ألفاظها من اللّغات وما رمزت له من خفيّ الإشارات بألطف العبارات، كما كان يقرئهم مختصر سعد الدّين البيانيّ وحواشيه، والرّامزة على صعوبة فهمها.

إلاّ أنّ تحوّله من الشّعر والأدب واللّغة إلى الحديث النّبويّ كان إثر رؤيا رآها وهو نائم : لقد رأى في النّوم كأنّه في المدينة المنوّرة، ومعه ابنه محمّد، وأنّه ابتدر الرّوضة، فإذا برسول الله صلّى الله عليه وسلّم وأبي بكر وعمر كلّ واحد منهم جالس على ضريحه، فسلّم ابن أبي دينار على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، ثمّ أنشد أبياتا سبق له إنشاؤها، وهي :

[البسيط]

يَا أَكْرَمَ الرُّسْلِ يَا مَنْ لاَ يُضَامُ لَـهُ * نَزِيلُ مَـدْحٍ، وَأَوْفَـى الخَلْـقِ بِالذِّمَمِ
إِنِّي نَزَلْتُ بِمَدْحِي فِي ذِمَامِكَ كَـيْ * أَنْجُو مِنَ البُؤْسِ وَالأَحْزَانِ وَالعَـدَمِ
وَشِـيمَةُ العُـرْبِ أَنْ تُوفِي بِذِمَّتِهَـا * وَأَنْتَ لاَ شَـكَّ أَوْفَى العُرْبِ بِالذِّمَـمِ

---

1) انظر ابن أبي دينار (أبو القاسم)، المصدر نفسه، 65 ظ.

قال : فقال له النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم : قل لا إله إلاّ الله، أحسن من هذا. قال ابن أبي دينار : "فقلت بالفور : لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كلّ شيء قدير، صلّى الله عليك وعلى آلك وأزواجك وذرّيتك وأهل بيتك وسلّم تسليما، بأعلى صوتي، حتّى سمعَتْ زوجي بعض ذلك في النّوم، فأيقظتني، وقالت لي : ما لي أسمعك تتكلّم ؟ فيمن تخاطب ؟ فقصصت عليها الرّؤيا، ففرحَتْ وفرحتُ بما رأيتُ". قال : "فأعرضتُ عن الشِّعر ولازمت حديثه صلّى الله عليه وسلّم" (1).

التّعريـــف بكتاب تأهّب الرّاوي :

1 – سبب تأليف الكتاب :

بعد أن أعرض ابن أبي دينار عن الشّعر ولازم الحديث النّبويّ، جلس لرواية الجامع الصّحيح للبخاريّ، وشرحه للطّلبة. فلمّا كان يوم الختم، افتتح المصنّف مجلسه بالكلام على أنواع الحديث وشرط البخاري في صحيحه وطريقته في تصنيف جامعه، فاستعذب " عيون الحضرة العَليّة ومفتو الدّيار الإفريقيّة " كلام ابن أبي دينار، كما لقي قبولا حسنا من إخوانه و"زملائه"، فطلبوا منه جمع ذلك.

قال : "فاقتطعت أنوارا من أزهار الأئمّة، حتّى صارت مسائل مهمّة، يشتغل بها الحاذق اللّبيب، ويكتفي بها الطّالب الأريب، وهي كالمقدّمة بين يدي الكتاب الجامع الصّحيح..." (2)

فأمّا "**التّأهّب**"، ففيه إشارة واضحة إلى عمل مهمّ سينجز قريبا، لا بدّ فيه من الاستعداد الكامل على مختلف الأصعدة، حتّى يتمّ إنجازه بنجاح.

---

1) ابن أبي دينار (أبو القاسم)، المصدر نفسه، 64، 64 ظ، 65 وانظر في ترجمة أبي القاسم بن أبي دينار القيروانيّ : * ابن أبي دينار (محمّد)، المؤنس في تاريخ إفريقية وتونس، ص 318 * ابن أبي دينار، (أبو القاسم)، تأهّب الرّاوي الفصيح، 64... و92، و100 و100 ظ و101 و102 و105 و106، * عبد الوهّاب (حسن حسني)، كتاب العمر، مراجعة وإكمال : محمّد العروسي المطويّ وبشير البكّوش، 368/1، 369، الدّار العربيّة للكتاب، 2001.

2) اسم الكتاب كاملا : "تأهّب الرّاوي الفصيح لفتح الجامع الصّحيح".

وأمّا "**الرّاوي**"، فهو اسم فاعل من روى يروي الحديث إذا أدّاه بأيّ صيغة من صيغ الأداء. وقد أشار المصنّف في كتابه إلى أنّ سلسلة الإسناد ما زالت متّصلة بين عصره وعصر الأئمّة المحدّثين. وأنّ كتب الحديث تروى عندهم بأسانيدها إلى أصحابها.

هذا مع ملاحظة أنّ هذا الجزء من العنوان اقتباس رشيق من كتاب جلال الدّين السّيوطيّ (ت 911 هـ) : "تدريب الرّاوي".

وأمّا "**الفصيح**"، فهو وصف متعلّق إمّا بالرّاوي أو بالتّأهّب، كلاهما مستقيم، إذ الفصاحة كما ورد في لسان العرب وغيره هي البيان. تقول : فصح الرّجل فصاحة فهو فصيح، وكلام فصيح أي : بليغ. لكنّها تعني أيضا : ما يُدرك حسنُه بالسّمع. إذ جرت عادة علماء اللّغة التّفريق بين الفصاحة والبلاغة. فالكلمة توصف بالفصاحة ولا توصف بالبلاغة، لأنّها قاصرة عن الوصول بالمتكلّم إلى غرضه. والبلاغةُ لغةً هي الوُصولُ والانتهاءُ. أمّا البلاغةُ في الكلامِ، فهي مطابقتُه لما يقتضيه حالُ الخطاب، مع توفّر شرط فصاحةِ ألفاظه : مفردِها ومركَّبِها. والكلامُ البليغُ هو الذي يُصورّهُ المتُكلِّمُ بصورةٍ تناسبُ أحوالَ المخاطبين. حتّى قيل : البلاغة هي الّتي إذا سمعها الجاهلُ ظَنَّ أنّه يُحْسِنُ مثلَها [1].

ويبدو لي أنّ ابن أبي دينار اختار هذه العبارة لثلاث غايات هي :

- احتواء عنوان كتابه على السّجع المطلوب في أسماء الكتب في العصور السّابقة.
- أنّ هذا الكتاب سيكون بيّنا، فصيحا، مفهوما، يكتشف قارئُه من خلاله مفاتيح مصطلح الحديث وعلومه، وتحصل لديه فكرة شافية عن الإمام البخاريّ وصحيحه.

1) انظر : القزويني، الإيضاح في علم البلاغة، 7/1، الجرجاني، التّعريفات، 66، الزبيدي، تاج العروس،18/7، و447/22، الجارم (علي) وأمين (مصطفى)، البلاغة الواضحة، ص 5 و10، وابن منظور، لسان العرب، مادّة بلغ، ومادّة فصح، والفيروزابادي، القاموس المحيط، بلغ، فصح...

- الإشارة إلى أنّ رواية صحيح البخاري – فضلا عن شرحه – مقترنة عادة بحدّ أدنى من الرّصيد العلميّ الّذي يسمح للرّاوي بأن يتأهّل إلى هذا المصنّف الحديثيّ المتميّز، حتّى لا يكون حاملا لعلم لا يفقهه.

وأمّا قوله " **لفتح**"، ففيه إشارتان :

* إشارة إلى أنّ هذا الكتاب هو بمثابة مفتاح لصحيح البخاري، لا بدّ منه لفهم الكتاب، والوقوف على دقائقه.
* إشارة إلى أنّه سيعتمد أفضل شرح لأفضل كتاب حديث، ألا وهو " فتح الباري شرح صحيح البخاري " لأحمد بن حجر العسقلانيّ (ت 852 هـ).

وقوله "**الجامع**"، لهذه اللّفظة مدلول خاصّ عند المحدّثين، فالجامع هو الكتاب الّذي اشتمل على أبواب الحديث الثمانية : العقائد – الأحكام – الرّقاق – آداب الطّعام والشّراب – التّفسير والتّاريخ والسّير– الشّمائل – الفتن – المناقب والمثالب. مثال : جامع البخاريّ، جامع مسلم، جامع التّرمذيّ...

وقوله : "**الصّحيح**"، قصد به هنا صحيح البخاريّ لا غير (ت 256 هـ)، فالكتاب مقدّمة لفهم صحيح البخاريّ، ذلك الكتاب الّذي اقتصر فيه صاحبه على إخراج الحديث الصّحيح فقط، علِماً وأنّ البخاريّ كان من المحدّثين الّذين لا يستعملون إلاّ التقسيم الثّنائيّ للحديث، أي أنّ الحديث عنده إمّا صحيح وإمّا ضعيف، والصّحيح درجات، فمنه ما كان في أعلى درجات الصّحّة، ومنه ما كان أقلّ من ذلك بكثير. وبالتّالي فهو اسم شامل للصّحيح لذاته والصّحيح لغيره والحسن لذاته والحسن لغيره.

3 – منهج تأليف كتاب تأهّب الرّاوي :

أ – منهجه في المقدّمة : بعد حمد الله تعالى والصّلاة والسّلام على النّبيّ الكريم وآله وصحبه، تعرّض إلى منزلة السّنّة في التّشريع الإسلاميّ، وسبيل معرفة الصّحيح من السّقيم، مشيرا إلى إهمال أهل العصور المتأخّرة لعلم الحديث، داعيا إلى إعادة إحياء السّنن الموات، معرّفا بعلم الحديث رواية ودراية.

ثمّ تحدّث عن بداية اهتمامه بالحديث النّبويّ، بعد أن كان منشغلا عنه بالقضاء والشّعر والأدب، مبيّنا سبب تأليف هذا الكتاب، مشيرا إلى أهمّ موضوعاته.

ب – منهجه في عرض موضوعات كتابه : اتّبع أبو القاسم بن أبي دينار المنهج التّحليلي في عرضه لعلوم الحديث ومصطلحه. وهي التّالية :

تعريف الإسناد	إذا قال التّابعي من السنة	فوائد لا يسع المحدّث الجهل
تعريف السّند	كذا	بها :
أصحّ الأسانيد	الإسناد المعنعن	الاعتبارات
قولهم أصحّ ما جاء بالباب.	التّمييز بين الصّحابي	المتابعات وأنواعها
أوهى الأسانيد	والتّابعيّ	الشواهد
تحقيق شرط البخاري	عدالة الصّحابي	الإفراد : الفرد
تحقيق شرط مسلم	الصّحابة المكثرون	الشّاذّ
تحقيق الكلام في المجهول	عدد الصّحابة	المنكر
رواية المبتدع	طبقات الصّحابة	التّخليط
المنفردات والوحدان	أفضل الصحابة	النّاسخ والمنسوخ
المسند	أول من أسلم	الاختلاف والجمع والترجيح
المرفوع	التّابعون	طرق التّحمل مفصّلة :
الموقوف	زيادة الثقة وحكمها.	التّحمل والسّماع والعرض
الأثر	تفرّد الثقة بحديث.	والقراءة وصيغ الأداء
المقطوع	التدليس وأنواعه وحكمه	والإجازة والرّواية بها.. وما
المعضل	وحكم الحديث المدلس	يتعلّق من ذلك بدقائق..
المرسل	ورواية الشّيخين عن	الفرق بين الرّواية والشّهادة.
مرسل الصّحابيّ	مدلّسين وقد عنعنوا..	صيغ الأداء
قول الصّحابي كنا نقول كذا		والتّعبير عن أوجه التّحمل

ج – منهجه الخاصّ في خاتمة كتابه :

تبدو الخاتمة مطوّلة نسبيّا، كادت تستغرق نصف الكتاب : (20 لوحة من 44 لوحة). إلاّ أنّ الكاتب وجّه فعلَه وبرّره بأنّ هذه الخاتمة هي المقصود من الكتاب كلّه، وأنّ ما قبلها كلّه إنّما هو كالوسيلة إليها، لمَدارِه عليها.

ولقد اختار لخاتمته المنهج نفسه الّذي اتّبعه في كلّ كتابه، ورتّبها على النّحو التّالي :

كراهية الكتابة وتجويزها	قاعدة : عند تعسّر الجمع	شيوخه وطبقاتهم
بين الصّحابة والتّابعين	بين التّرجمة والحديث..	ورعه
التّدوين الرّسمي	التّعاليق في صحيح البخاري	زهده
المصنّفات قبل البخاري	وصحيح مسلم.	قيامه
ذكر أحاديث الجامع	ترجمة البخاري :	سعة حفظه
الصحيح	مولده	قصّة امتحان علماء بغداد
عدد أحاديث الجامع	نسبه	للبخاري
الموصولة مع التكرار	والده	من ثناء العلماء عليه
ودون تكرار، حسب	يتمه	التّعريف بكتابه : الجامع
الروايات	ذكر طرف من أخبار	الصّحيح :
ذكر ما اصطلح عليه في	صغره	رواياته
ذكر التّعاليق والصّيغ	حبّه للحديث منذ الصّغر	تلاميذه
ومناسبة ذكر الآي وهو من	وبداية نبوغه	رجوعه إلى بخارى
أهمّ ما يشتغل النّاظر فيه	رحلاته في طلب الحديث	محنته مع السلطان
وربما خفيت دراية ذلك عن	بدايته التّصنيف وأوّل ما	وفاته
راويه.	صنّف من الكتب	

وقبل أن ينهي الكتاب كلّه ركّز حديثه على المسائل التّالية :

مزايا كتابه الجامع الصحيح	هل يفيد خبرُ الآحاد القطعَ ؟	إتقان العربيّة وتجنّب اللّحن
وفضائله ومناقبه وأرجحيّته	(بين ابن الصّلاح النّوويّ	فيها أوّل شرط في المحدّث
على صحيح مسلم	والعراقيّ وابن طاهر..)	مناسبة افتتاح الكتاب
الأحاديث المعلّقة في صحيح	ذكر بركة الجامع الصّحيح	ومنهج البخاري في الانتقال
البخاريّ وطعن ابن حزم	وسبب النّفع به	من كتاب إلى كتاب
فيها والرّدّ عليه	ذكر آداب المحدّث ووجه	مناسبة الكتاب إلى الكتاب
	التّخلّص إلى الختم	دعاء

4 – موارده في كتـــابه :

أ – موارده الّتي سمّاها وسمّى أصحابها :

* الإرشاد في أصول الدّين، لأبي المعالي عبد الملك بن أبي محمّد عبد الله بن يوسف الجوينيّ، إمام الحرمين (ت 478 هـ).

* الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البرّ النّمريّ القرطبيّ (ت 463 هـ).

* الاعتبار في النّاسخ والمنسوخ من الآثار، لأبي بكر محمّد بن موسى الحازميّ (ت 584 هـ)

* ألفيّة العراقي في أصول الحديث، للحافظ زين الدّين عبد الرّحيم بن الحسيـن العراقي (ت 806 هـ).

* الإلمــاع في ضبط الرّواية وتقييد السّمــاع، للقاضي عيــاض بن موســى اليحصبيّ السّبتيّ (ت 544 هـ).

* الأمّ، للإمام محمّد بن إدريس الشّافعيّ (ت 204 هـ).

* تاريخ بخارى، لأبي عبد الله محمّد بن أحمد المعروف بغنجار البخاريّ (ت 412 هـ).

* التّقريب والتّيسير لمعرفة سنن البشير النّذير، لمحيي الدّين النّوويّ (ت 676 هـ).

* حلية الأبرار وشعار الأخيار في تلخيص الدّعوات والأذكار، المعروف اختصارا بالأذكار، لمحيي الدّين النّوويّ (ت 676 هـ).

* الجامع لأخلاق الرّاوي، لأبي بكر الخطيب البغدادي (ت 463 هـ).

* جمع الجوامع في أصول الفقه، لتاج الدّين السّبكيّ (ت 771 هـ).

* حاشية الشّيخ الرّصّاع على الجامع الصّحيح : التّسهيل والتّقريب والتّصحيح لرواية الجامع الصّحيح، لمحمّد بن قاسم الرّصّاع الأنصاريّ التّونسيّ (ت 894 هـ).

* خلاصة الفكَر في شرح المختصر في مصطلح أهل الأثر، لأبي محمّد جمال الدّين عبد الله بن محمّد الشّنشوري (999 هـ).

* المرحب الفسيح والمتجر الرّبيح والقول الفصيح على الجامع الصّحيح، لحفيد ابن مرزوق : أبي عبد الله محمّد بن أحمد بن محمّد بن مرزوق التّلمسانيّ (842 هـ)، هكذا سمّى ابن أبي دينار الكتاب، وهو المعروف عند شرّاح الحديث بالمتجر الرّبيح.

* سنن التّرمذيّ، لأبي عيسى محمّد بن عيسى بن سورة (ت 279 هـ)، الكتاب معروف أيضا بجامع التّرمذيّ.

* شرح ألفية العراقي، لزكريّا بن محمّد الأنصاري (ت 926 هـ) المسمّى "فتح الباقي على ألفيّة العراقي".

* شرح البرهان، للمازريّ أبي عبد الله محمّد بن عليّ بن عمر التّميميّ (ت 536 هـ). والبرهان كتاب في أصول الفقه، لأبي المعالي عبد الملك الجوينيّ إمام الحرمين (ت 478 هـ).

* شرح حدود ابن عرفة : أبي عبد الله محمّد بن محمّد الورغمّيّ (ت 803 هـ)، لتلميذه علَم المشرق والمغرب محمّد بن مرزوق الحفيد (ت 842 هـ).

* شرح السّنّة، لأبي القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطّبريّ الرّازيّ اللاّلكائي (ت 418 هـ).

* شرح صحيح مسلم، للنّووي (676 هـ).

* شرح العراقي (عبد الرّحيم بن الحسين 806 هـ) لألفيّته : "شرح التّبصرة والتّذكرة".

* شرح نخبة الفِكَر في مصطلحات أهل الأثر، لابن حجر (ت 852هـ).

* الطّبقات الكبرى، لأبي عبد الله محمّد بن سعد بن منيع الزّهريّ كاتب الواقديّ (ت 230 هـ).

* علوم الحديث، لابن الصّلاح الشّهرزوري (643 هـ).

* فتح الباري شرح صحيح البخاريّ، لابن حجر العسقلانيّ (ت 852 هـ).

* الفروق لأبي العبّاس أحمد القرافي (ت 684 هـ).

* المدخل إلى المستخرج على صحيح البخاريّ، لأبي بكر أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل الجرجاني الإسماعيليّ (ت 371 هـ).

* المدخل إلى معرفة كتاب الإكليل وفي معرفة الصّحيح والسّقيم وأقسامه وأنواع الجرح، لأبي عبد الله محمّد بن عبد الله بن حمدويه الحاكم النّيسابوريّ (ت 405 هـ).

* معرفة علوم الحديث، للحاكم أيضا.

* المعلم بفوائد مسلم، لأبي عبد الله محمّد بن عليّ بن عمر بن محمّد التّميميّ المازريّ (ت 536 هـ).

* المؤتلف والمختلف، لأبي الحسن عليّ بن عمر البغداديّ الدّارقطنيّ (ت 385 هـ).

ب – موارد سمّى أصحابها دون تحديد الكتاب الّذي نقل عنه :

* **الآمديّ** : سيف الدّين، عليّ بن أبي عليّ (ت 631 هـ)، صاحب الإحكام في أصول الأحكام، وهو في أصول الفقه.

* **الإسفراييني** : ركن الدّين أبو إسحاق إبراهيم بن محمّد الفقيه الأصوليّ المتكلّم (ت 418 هـ)، صاحب كتاب الجامع في أصول الدّين، وكتاب الرّدّ على الملحدين وتعليقة في أصول الفقه.

* **الأشعريّ** : أبو الحسن عليّ بن إسماعيل بن إسحاق (ت 324 هـ)، صاحب التّصانيف الثّلاثمائة، منها : مقالات الإسلاميّين، والإبانة عن أصول الدّيانة، واللّمع في الرّدّ على أهل الزّيغ والبدع.

* **الباقلاّني** : أبو بكر محمّد بن الطّيّب البصريّ الأشعريّ الملقّب بسيف السّنّة ولسان الأمّة المتكلّم على لسان أهل الحديث (ت 403 هـ)، صاحب

إعجاز القرآن، والإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، ومناقب الأئمّة ونقض المطاعن على سلف الأمّة، وأسرار الباطنيّة، وهداية المسترشدين في الكلام.

* **ابن جماعة** : بدر الدّين محمد بن إبراهيم (ت 733 هـ)، صاحب المنهل الرّويّ في مختصر الحديث النّبويّ.

* **ابن الحاجب** : جمال الدّين أبو عمرو عثمان بن عمر الكرديّ الأصل المصريّ مولدا ونشأة، الدّمشقيّ مسكنا (ت 646 هـ)، صاحب الكافية في النّحو، والشّافية في الصّرف، وجامع الأمّهات في الفقه المالكيّ، ومنتهى السّؤل والأمل في علمي الأصول والجدل في أصول الفقه.

* **الخطّابيّ** : أبو سليمان حَمَد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستيّ، من أهل بست من بلاد كابل (ت 388 هـ) صاحب معالم السّنن في شرح سنن أبي داود، وأعلام السّنن في شرح صحيح البخاريّ، وبيان إعجاز القرآن، وإصلاح خطأ المحدّثين، وغريب الحديث.

* **الخطيب البغداديّ** : أبو بكر أحمد بن عليّ بن ثابت (ت 463 هـ)، نقل عنه من "تاريخ بغداد".

* **الرّامهرمزيّ** : الحسن بن عبد الرّحمن (ت 360 هـ)، صاحب المحدّث الفاصل بين الرّاوي والواعي.

* **الشّيرازيّ** : أبو إسحاق إبراهيم بن عليّ بن يوسف الشّافعيّ (ت 476 هـ)، أستاذ أبي الوليد الباجيّ، وصاحب المهذّب، والتّنبيه، واللّمع في أصول الفقه، وشرح اللّمع، والمعونة في الجدل، والملخّص في أصول الفقه.

* **ابن الصّلاح** : أبو عمرو عثمان الشّهرزوري (ت 642 هـ) صاحب علوم الحديث، وشرح مسلم.

* **ابن الطّلاّع** : أبو عبد الله محمّد بن الفرج القرطبيّ المالكيّ، أبو عبد الله، مفتي الأندلس (ت 497 أو 498 هـ)، صاحب كتاب أقضية النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم، وكتاب الشّروط، ونوازل الأحكام النّبويّة.

* **الغسّاني** : أبو عليّ الجيّانيّ : الحسين بن أحمد محدّث الأندلس (ت498 هـ)، تلميذ ابن عبد البرّ وأستاذ عياض، صاحب تقييد المهمل وتمييز المشكل.

* **ابن فارس** : أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياّء القزوينيّ الرّازيّ (ت 395 هـ)، إمام اللّغة والأدب وصاحب مقاييس اللّغة، والصّاحبيّ، وجامع التّأويل..

* **القرطبيّ** : أبو العبّاس أحمد بن عمر الأنصاريّ (656 هـ)، صاحب كتاب المفهم لما أُشكل من تلخيص كتاب مسلم.

* **ابن ماكولا** : الحسين بن عليّ العجليّ (ت 447 هـ)، قاضي البصرة وصاحب الإكمال في أسماء الرّجال، عمّ المؤرّخ الّذي يليه.

* **ابن ماكولا** : أبو نصر علي بن هبة الله العجليّ (ت 475 هـ)، محدّث نسّابة أديب شاعر، صاحب "الإكمال في رفع عارض الارتياب عن المؤتلف والمختلف من الأسماء والكنى والأنساب" وصاحب "تهذيب مستمرّ الأوهام على ذوي المعرفة وأولي الأفهام".

* **المالكيّ** : هو أبو العبّاس الوليد بن بكر بن مخلد الغمريّ (ت 392 هـ)، من سرقسطة الأندلسيّة، صاحب الرّحلات الطّويلة وراوية رجال العجليّ، شيخ عبد الغنيّ وإبي ذرّ الهرويّ والحاكم، وصاحب كتاب : " الوجازة في صحّة القول بالإجازة "، رويت عنه الأشعار الأندلسيّة الفائقة الّتي ضمّنها أبو منصور عبد الملك بن محمّد الثّعالبيّ (ت 429 هـ)،كتابَ "يتيمة الدّهر في محاسن أهل العصر".

* **النّسفيّ** : أبو البركات حافظ الدّين عبد الله بن أحمد بن محمود الحنفيّ (ت 710 هـ)، الفقيه الأصوليّ المتكلّم صاحب عمدة العقائد في الكلام وشرحها في "الاعتماد"، و"مدارك التّنزيل وحقائق التّأويل" في التّفسير، و"منار الأنوار" في أصول الفقه، و"الكافي في شرح الوافي"، و"كنز الدّقائق"كلاهما في الفقه الحنفيّ.

* **النّهروانيّ** : أبو الفرج المعافى بن زكريّـاء بن يحيى الجريري، القـاضي الأديب الفقيـه (ت 390 هـ)، صاحب تفسير القرآن : البيان الموجز عن علوم القرآن المعجز، والجليس والأنيس، قال الذّهبيّ : فيه عجائب.

ملاحظـــات : يلتحق بهذا النّوع من المصادر قوله : " نقله الشّيخ أبو الحسن المالكيّ صاحب الكبير والأوسط والتّلخيص على الرّسالة وشارح التّرغيب والتّرهيب للمنذريّ وغير ذلك في شرحه للجامع الصّحيح. "[1].

وبما أنّ أبا الحسن عليّ بن محمّد المالكيّ (939 هـ/1532 م) له شرحان على البخاريّ : "معونة القاري لصحيح البخاري" و" صيانة القاري عن الخطأ واللّحن في البخاري"، وهما غير متوفّرين لدينا حاليّا، فإنّ المصدر يبقى في دائرة الظّنّ.

وقد يلتحق به أيضا ما ينقله عن الأئمّة السّابقين ممّن وجد أقوالهم مجموعة في مراجع سبقته، كقوله : " قال الشّافعيّ والأوزاعيّ والبويطيّ والمزنيّ وأبو حنيفة وسفيان الثّوريّ وأحمد بن حنبل .." [2]

ج – الرّوايات الشّفاهيّة عن مشايخه :

قد يذكر اسم شيخه وينسب، كقوله : " أخبرنا به شيخنا الرّاوية الثّبت الحاج النّاسك القدوة العلم العلاّمة أبو عبد الله.." [3]

وقد لا يحدّد اسم شيخه لأنّه تلقّى ذلك من عدّة مشايخ، كقوله : " أخبرنا بعض مشايخنا المغاربة.." [4].

وكقوله أيضا : " ممّا بلغنا من مشايخنـا عن أشياخهم رحمهم الله وتلقّينـا ذلك منهم مشافهـة.." [5]

---

1) ابن أبي دينار (أبو القاسم)، المصدر نفسه، 88.
2) م.ن، 91 ظ، 92.
3) م.ن، 73.
4) م.ن، 89.
5) م.ن، 89.

5 – تسجيله لصوَر من الحياة العلميّة والاجتماعيّة :

أ – الفرق بين احتفال أهل القيروان وأهل تونس بختم صحيح البخاري :

ذكر ابن أبي دينار في هذا الكتاب صورة حيّة من صور الحياة الدّينيّة في مدينة القيروان عند ختم صحيح البخاريّ، صورة تبدو متميّزة عن غيرها من مدن العالم الإسلاميّ كلّه. صورة **المنادي في الأسواق** : أيّها النّاس ليبلّغ الحاضر منكم الغائب، سيكون ختم صحيح البخاري غداة كذا أو عشيّة كذا في موضع كذا.

قال ابن أبي دينار : " لختم صحيح البخاريّ في بلدنا القيروان شأن عظيم، ومشهد كريم، ومن تعظيمهم إيّـــاه وإجلالهم له أن يشتغـــلوا به عن أهـــمّ شيء لديهم، **ويغلقوا حوانيتهم** ... فيفزع النّاس ويتسارعون لذلك وتتسارع النّساء والصّبيان والخاصّ والعامّ.. (فيقرؤون إمّا من تبارك أو من المزّمّل أو من عمّ إلى آخر سورة من المفصّل، ويختمون بآية الكرسيّ وآخر البقرة) .. ويبتدئ الرّاوي بما فيه تعظيم لجناب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من بعض سيره ومعجزاته حتّى يحصل لذلك ضجيج برفع الصّوت بالصّلاة عليه والتّسليم ثمّ يذكر مواعظ ورقائق ويخوّف النّاس حتّى يبكوا ويندموا على ما فرّطوا، وربما حصل للمذنب بسبب ذلك التّوبة، ثمّ يذكر من سعة رحمة الله ما يحبّب به الله لعباده، ثمّ يصلّي ويسلّم ثمّ يختم بالجامع الصّحيح. فربّما اشتغلوا بذلك من طلوع الشّمس إلى قرب الزّوال." [1] ولتتّضح صورة الاعتناء الخاصّ من أهل القيروان بختم صحيح البخاريّ، قدّم ابن أبي دينار صورة أخرى نجدها في "الحاضرة" يعني تونس العاصمة. فقال : " وعمل الحاضرة **بخلاف ذلك**، فلا يقرؤون إلاّ آخر الجامع الصّحيح أو آخر الشّفاء (للقاضي عياض) بعد افتتاحهم بقراءة القرآن كما ذكرنا. وعمل القيروان أخصّ وأهمّ، وعمل الحاضرة أخصر وأعمّ ".

---

1) م. ن، 100، 100 ظ.

هذا الفرق الّذي ذكره ابن أبي دينار في كيفية إقامة الاحتفال الدّينيّ بين العاصمتين : الجديدة (تونس) والقديمة (القيروان) يبدو ذا بُعدٍ حضاريّ، ولعلّه يعكس الاتّجاه العمرانيّ الجديد الّذي بدأت بذوره تُنبت هنا وهناك، مع أفول العصر الحفصيّ واشتداد حدّة التّنــافس التّركيّ الإسبانيّ في تونس،

وهجرة وفود الأندلسيّين بسبب الاضطهاد الدّيني الّذي سُلّط عليهم، وظهور أسواق جديدة وصناعات مستحدثة،لم يكن أهل تونس يعرفونها،كصناعة الشّاشيّة ونسيج الحرير ونقش الرّخام والجبس والزليج، فاتّجهت إليها الأنظار على حساب بعض مظاهر الاحتفالات. بينما بقيت العاصمة القديمة (القيروان) محافظة على شخصيّتها التّاريخيّة، ومميّزاتها الّتي لم تتأثّر بعدُ – في عُمقها – بما جدّ في تونس.

ب – الالتزام بذكر الإسناد عند محدّثي القيروان :

عند حديثه عن آداب المحدّث، ذكر ابن أبي دينار أنّ رواي الجامع الصّحيح مُطالَب بأن يسمّي رجال إسناده واحدا واحدا إلى الإمام البخاريّ.

كما طالبه بأن يقول عند كلّ سند إذا اتّصل سنده بمن روى عنه : " وبه قال حدّثنا " أو "بالإسناد المذكور".

قال ابن أبي دينار : "وهذا لا يعرفه أهل الحاضرة (يعني العاصمة تونس)، وربّما استعجب بعضهم منّي عند قراءتي بذلك، وروايتي وذكر سَنَدِي" [(1)].

أقول : لعلّ هذا من ذاك أيضا. فالأسانيد مثبَتَة في الكتب، معروفة عندهم، وكأنّهم رأوا فيها إهدارا للوقت على حساب أولويّات أخرى لديهم.

الخـــاتـمــة :

لئن لم نستطع أن نعرّف بأبي القاسم بن أبي دينار القيروانيّ في هذا البحث بما يليق به محدّثا فقيها قاضيا مدرّسا أديبا شاعرا، ولئن اكتفينا بنفض

---

1) م ن، 101.

بعض الغبار عن جوانب من شخصيّته العلميّة والاجتماعيّة، فإنّه لا ينبغي أن تفوتنا فرصةُ تثمينِ عمل المؤلّف الّذي دوّن في كتابه علوم الحديث النّبويّ ومصطلحه، متخيّرا أصحَّ التّعريفات، مرجّحا أقوى الآراء في اصطلاح المحدّثين، مستندا إلى أمّهات المصادر الخاصّة بأدقّ العلوم الشّرعيّة : علم الحديث وعلم أصول الفقه، مستعينا بكتب الفقه والأصول واللّغة، مسجّلا لفوائد نادرة، شاهدا على صور حيّة من المجتمع التّونسيّ في عهد حمّودة باشا المرادي، وبداية ظهور الفوارق بين العاصمتين : الجديدة والقديمة (تونس والقيروان).

والكتاب في حاجة إلى أن يرى النّور وأن يخرج للنّاس محقّقا، خاليا من الأخطاء الكثيرة الّتي داخلته أثناء نسخه (نسخة غير مقابَلة)، عسى أن يكون لبنة في المكتبة الحديثيّة التّونسيّة. وهو ما أسعى إلى الإسراع فيه، رغم أنّي لم أحظ بأيّ علم عن وجود نسخةٍ ثانية من الكتاب، عدا المخطوطة الّتي بالمكتبة الوطنيّة بتونس، انتهي من نسخها من خطّ مؤلّفها الحاج أحمد بن الحاج عمر الدّاوديّ السّوسيّ بلدا والتونسيّ منشأ، يوم الخميس التّاسع والعشرين من ذي الحجّة لسنة خمس وخمسين وألف من الهجرة.

بعد كلّ هذا نقول : لعلّ البحث في الحديث النّبويّ عند أهل القيروان – وفي إفريقيّة بوجه عامّ – ما زال في حاجة إلى مزيد تعمّق، من أجل اكتشاف صفحات من تاريخ حضارةٍ طَمست الأحداثُ جانبا مهمّا من أسسها الفكريّة والثّقافيّة والعلميّة، سعى ذوو الهمم العالية إلى إماطة اللّثام عن ثغرها الباسم.